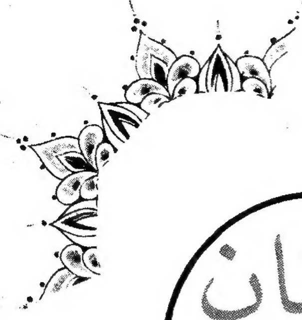


نظرات حول قضيتيّ الإلحاد والإيمان

للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

مقدمة عامة

١ ـ لم يكن الإلحاد في التاريخ ظاهرة ذات تجمّع بشري ، أو مذهباً مدعماً بمنظمات ودول ، وإنما كان ظاهرة فردية شاذة . ومعظم النزعات الإلحادية التي ظهرت في التاريخ البشري وعند بعض الأفراد ، إنما كانت عرضاً طارئاً على نفوسهم وأفكارهم ، ونزغات غير مستقرّات في بعض مراحل حياتهم ، ولأسباب نفسية أو اجتماعية مرّوا بها . ثم خبت هذه النزعات والنزغات ، وانطفأت نيرانها . وكثير من هؤلاء صحا من سكراته وعاد الى حظيرة الإيمان .

٢ ـ ولم يصبح الإلحاد ظاهرة وبائية في كتل بشرية وتجمعات إنسانية ثقيلة وخطيرة ، الاّ بعد أن خطط اليهود لنشر الإلحاد في الناس ، ولجعله مذهباً ، وإقامة منظمات ودولٍ كبيرة تدين به ، وتكون مناخاً طيعاً في أيدي شياطينهم ، الذين يحتلون من هذه المنظمات والدول مراكز القيادة والتوجيه . والاّ بعد أن عملوا بكل ما أوتوا من مكر وخبث ودهاء وقوة ومال لتحقيق هذا الهدف ، والذي زعموه ممهداً لإقامة دولتهم الكبرى التي يحلمون بأنْ تحكم العالم كله .

جاء في البروتوكول الرابع من بروتوكولات شياطين صهيون :

« يجب علينا ان ننزع فكرة الله ذاتها من عقول الجوييم ، وأن نضع مكانها عمليات حسابية ورغبات مادية » .

وجاء في البروتوكول السابع قولهم :

« قد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الجوييم في أعين الناس وفي ذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤ ودا في طريقنا . وان نفوذ رجال الدين يتضاءل يوماً فيوماً . سنقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير جداً من الحياة ، وسيكون تأثيرهم وبيلاً سيئاً في الناس ، حتى أن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها . . » .

وفعلاً سخّر اليهود فريقاً من أذكيائهم وشياطينهم لوضع أفكار باسم «نظريات» أو إحياء أفكار قديمة ، ووضعها في قوالب نظريات علمية أو فلسفية ، تنقض بالكذب والتزييف والمغالطات المبادىء والأسس العلمية والمنطقية الحقة التي جاءت بها الأديان الربانية الصحيحة المنزلة على أنبياء الله ورسله .

وكان هذا تطبيعاً لقولهم في البروتوكول الثالث عشر :

« سنحاول أن نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة التي يمكن أن تبدو تقدمية وتحررية . . . »

ونظروا الى بعض نتائج أعمالهم في هذا المجال فقالوا في البروتوكول التاسع :

« ولقد خدعنا الجيل الناشىء من الجوييم ، وجعلناه فاسداً متعفناً ، بما علمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها التام ، وكنا نحن أنفسنا الملقنين لها . . » .

٣ ـ أما انتشار الإلحاد في الناس خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، بدسائس اليهود وأجرائهم ووكلائهم ، فقد اتخذ المجرمون المتسترون في مخابئهم له طريقين :

الطريق الأول :

رفع شعارات العلمانية التي سيطرت على الفكر الغربي ، بعد التمهيد لذلك بإطلاق مبادىء الحريات الفكرية ، والشخصية السلوكية ، وبعض الحريات السياسية والاجتماعية الأخرى .

وضمن شعارات العلمانية اندس المضللون اليهود وأُجراؤهم ومتطوعون

آخرون ، يصوغون العلوم الإنسانية وجذور العلوم البحتة على أسس الإلحاد بالله ، والتفسيرات المادية ، دون أي مستند علمي أو منطقي فكري . ووسيلتهم في ذلك الكذب والمغالطات والتزييف والتستر بشعارات المناهج العلمية المادية ، ونبذ الخرافات والغيبيات ، ويتخذون من بعض الخرافات والأحاديث الكاذبة عن أمور الغيب ذريعة لإنكار كل حق ديني وحق غيبي ثابت بيقين .

وسقطت الصليبية في معظم الشعوب المتقدمة في العلوم المادية في فخ العلمانية اليهودية ، وساعد شعوبها على هذا السقوط فساد الكنيسة ، وما دخل في الديانة النصرانية من تحريف ومن تخريف .

ومع التحرك الصليبي الاستعماري والتبشيري ضد العالم الإسلامي ، في عمليات الغزو الفكري لسلخ المسلمين من دينهم سلخاً كلياً أو جزئياً . حمل الصليبيون للعالم الإسلامي شعارات العلمانية ، ثم المذهب الإلحادي ، إذ لم يستطيعوا أن ينصّروا المسلمين قبل ذلك ، فرأوا ان نقل أجيال المسلمين الى اللادينية ، ثم الى الإلحاد ، أسهل عليهم من التنصير الذي رفضته الشعوب الإسلامية ونفرتْ منه بقوة . ورأى الصليبيون أن أبناء المسلمين إذا ألحدوا كانوا أطوع لهم ، وأسرع الى تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية وقد أشار عليهم بذلك ودفعهم اليه شياطين اليهود ، الذين صار لهم سلطان قوي سري وظاهر في مختلف بلدان الغرب ، وهؤلاء الشياطين يعدون أنفسهم ويتربصون في كل موقع ، للاستيلاء على الغنائم المتساقطة ضمن الصراعات المختلفة بين شعوب الأرض .

الطريق الثاني :

نشر المادية الماركسية بكل فلسفتها وشعاراتها - وألوان مكرها وكيدها . وقد بنيت هذه بناءً كلياً على الإلحاد ومقاومة كل دين يصل الانسان بإله ، مهما كان نوع هذه العقيدة الدينية ، مع إبقاء اليهود الشعب المختار وعقائده الدينية في معزلٍ عن هذه الحرب الدنيئة الشرسة ، بوسائل مكر عجيبة .

ولقد غدا من الحقائق التي لا جدال فيها أن المنظمات الاشتراكية والشيوعية في كل العالم صناعة يهودية فكراً وقيادات ، وهم الذين يستثمرونها في العالم ، ويعدون العدة لاقتطاف آخر ثمراتها قبل إسقاطها .

وبعد أن قامت هذه المنظمات صار للإلحاد كتل بشرية تدين به .

ثم لما قامت الثورة الإشتراكية الكبرى ، وصار لها دول ذات وزن في الشرق ، أمسى الإلحاد ظاهرة بارزة في المجتمع البشري ، مفروضاً بالقهر والسلطان . وباستخدام كل وسائل الدعاية والإلزام التعليمي والخداع والتزييف .

فالإلحاد دخل وما يزال يدخل الى شعوب الأمة الإسلامية من عدة طرق :

أ ـ فهو يتسلل في أثواب العلوم والفنون وأنواع الثقافات الغربية والشرقية . والوسائل في هذا المجال تشمل التعليم ومناهجه ومخططاته وكتبه واساتذته . وتشمل التثقيف العام الشامل .

أما الأدوات : فالمدارس ، ومعاهد العلم على اختلاف مستوياتها ، والأندية وأجهزة الإعلام ووسائله مهما تنوعت من مقروءة ومسموعة ومنظورة .

ب ـ والإلحاد يتسلل أيضاً عن طريق المنظمات الإشتراكية والشيوعية ، ووسائل مكرها وكيدها وخداعها للأجيال . وعن طريق المنظمات اللادينية العلمانية ذات الشعارات التحررية ، والشعارات الإنسانية المختلفة ، مثل شعارات : الحرية ـ المساواة ـ العدل ـ الإخاء الانساني ـ السلم العالمي ـ الى غير ذلك .

ووسائل هذه المنظمات تتلخص بإرضاء الشهوات والمطامع ونزعات الكبر والغرور ، مع إفساد البصيرة الفكرية وإفساد الحس الوجداني .

جـ ـ ويدخل الإلحاد مفروضاً فرضاً بالقهر وسلطان الحكم في البلدان التي تسقط في أيدي الأحزاب الشيوعية ، أو في أيدي أجراء الدول الشيوعية ، أو أجراء الدول الأخرى التي جعلت من مخططاتها تحويل أبناء المسلمين الى

الإلحاد ، وسلخهم من إسلامهم ، بغية تطويعهم لتنفيذ أغراضهم ، وتطبيعهم على العبودية الذليلة لهم .

ويحسن هنا أن أشير الى الوثيقة الخطيرة التي تكشف مخططات الإتحاد السوفييتي لمحاربة الإسلام ، التي نشرتها مجلة « كلمة الحق » في عددها الصادر في شهر محرم من سنة ١٣٨٧ هـ واستشهد بها « د . طارق حجي » في كتابه « الشيوعية والأديان » وهو من مطبوعات « الإتحاد الدولي للبنوك الإسلامية » وقد جاء في مخطط هذه الوثيقة الجهنمي ما يلي :

« برغم مرور خمسين سنة تقريباً على الإشتراكية في الإتحاد السوفييتي وبرغم الضربات العنيفة التي وجهتها أضخم قوة إشتراكية في العالم الى الإسلام ، فإنّ الرفاق الذين يراقبون حركة الدين في الإتحاد السوفييتي صرحوا كما تذكر مجلة « العلم والدين » الروسية في عددها الصادر في أول كانون الثاني من سنة ١٩٦٤م بما نصه : « إنّنا نواجه في الإتحاد السوفييتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية ، وكأن مبادىء لينين لم تتشربها دماء المسلمين . . »

وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين فإنّ الإسلام ما يزال يرسل إشعاعاً ، وما يزال يتفجر قوة ، بدليل أنّ ملايين من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتنقون الإسلام ويجاهرون بتعاليمه . . » .

وقد جاء في الوثيقة المذكورة بيان للبنود التي يجب على الشيوعيين محاربة الإسلام ضمن تعليماتها ، ومن هذه البنود المقررات التالية :

١ ـ مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه ، والمهادنة لأجل ، حتى نضمن أيضاً السيطرة ، ونجتذب الشعوب العربية للإشتراكية .

٢ ـ تشويه سمعة رجال الدين ، والحكام المتدينين ، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية .

٣ ـ تعميم دراسة الإشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل . . . . ومزاحمة الإسلام

ومحاصرته حتى لا يصبح قـوة تهدد الإشتراكية .

٤ ـ الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفاً ، والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني ، والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يـدعو الى الـدين ولو أدى الى الموت .

٥ ـ ومع هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات ، ولذا وجب أنْ نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان ، وإلصاق التهم به ، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينم عن معاداة الإسلام .

٦ ـ تشجيع الكتاب الملحـدين ، واعطاؤهم الحرية كلها في مهـاجمة الـدين والشعـور الـديني ، والضميـر الديني ، والعبقرية الدينية ، والتركيز في الأذهان أن الإسلام انتهى عصره ـ وهذا هو الواقع ـ ولم يبق منه اليوم الا العبادات الشكلية التي هي الصوم والصلاة والحج وعقود الزواج والطلاق ، وستخضع هذه العقود للنظم الإشتراكية .

أما الصوم والصلاة فلا أثر لهما في الحياة الواقعية ، ولا خطر منهما ، أما الحج فمقيد بظروف الدولة . ويمكن استخـدام الحـج في نشـر الـدعـوة الإشتراكية بين الحجاج القادمين من جميع الأقطار الإسلامية ، والحصول على معلومـات دقيقة عن تحـركـات الإسلام لنستعد للقضاء عليها .

٧ ـ قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً تاماً ، وإحلال الرابطة الإشتراكية محل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية .

٨ ـ إنّ فصم روابط الدين ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس لأن الدين يكمن في الضمير ، والمعـابد مظهر من مظاهر الـدين الخارجيـة ، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ، ولم يصبح صعباً هـدم الدين في ضميـر المؤمنين به ، بعد أن نجحنا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للإشتراكية ، ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحـاضرات والصحف والأخبـار والمؤلفـات التي

تروّج للإلحاد ، وتدعو إليه ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده وجعله الإله المسيطر .

٩ ـ مزاحمة الوعي الديني بالوعي العلمي ، وطرد الوعي الديني بالوعي العلمي .

١٠ ـ خداع الجماهير بأن يزعم لها أنّ المسيح اشتراكي وإمام الاشتراكية ، فهو فقير ، ومن أسرة فقيرة ، وأتباعه فقراء كادحون ، ودعا الى محاربة الأغنياء .

وهذا يمكننا من استخدام المسيح نفسه لتثبيت الإشتراكية لدى المسيحيين . ونقول عن محمد : أنّه إمام الاشتراكيين ، فهو فقير ، وتبعه فقراء ، وحارب الاغنياء والمحتكرين ، والاقطاعيين ، والمرابين والرأسماليين ، وثار عليهم ، وعلى هذا النحو يجب أن نضور الأنبياء والرسل ، ونبعد القداسات الروحية ، والوحي ، والمعجزات عنهم بقدر الإمكان ، لنجعلهم بشرا عاديين ، حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم وأوجدها أتباعهم المهووسون .

١١ ـ تحطيم القيم الدينية والروحية بإظهار ما فيها من خلل وعيوب وتخدير للقوى الناهضة .

١٢ ـ نشر الأفكار الإلحادية ، بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية . وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي .

وفي الوثيقة مقررات أخرى كثيرة كلها خطير ومشحون بالمكر الكثير . وتكشف الوثيقة أن أنصاراً كثيرين للإتحاد السوفييتي قد استطاعوا أن يثبوا الى المناصب الرئيسية في الوزارات والإدارات الحكومية والشركات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية داخل المحيط العربي . وأنهم يعدون ما يلزم ليقوموا بثوراتهم الاشتراكية .

وأقول : إن الوفاق الدولي الكبير يقوم بأعمال منسقة متكاملة ، ضد الإسلام ، وضد الشعوب الإسلامية وثرواتها .

ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، ونفوّض أمورنا الى الله إن الله بصير بالعباد .

أسس الفكر الإيماني وأسس الفكر الإلحادي :

١ ـ ينطلق الفكر الإلحادي كله من منطلق واحد جعله الملاحدة لهم مبدأ دون أي دليل سوى الإنكار والرفض للحقائق وبراهينها . وهذا المنطلق يعبرون عنه بقولهم : لا يوجد لهذا الكون خالق ، وأن الكون موجود بنفسه ، ويتكامل ويرتقي بالتطور الذاتي ، نتيجة حركة المادة وصراع المتناقضات فيها .

٢ ـ وينطلق الفكر الإيماني الذي يمثله الإسلام أوفى تمثيل ، دون انحراف ولا نقص ولا تشويه ، من منطلق واحد أيضاً ، هو على النقيض الأقصى تماماً من منطلق الملاحدة .

وهذا المنطلق نعبر عنه : بأن هذا الكون حادث مذ خلقه خالق عظيم أزلي أبدي ، وهو واحد غير متعدد ، وله كل صفات الكمال ، وهو منزه عن كل صفات النقصان ، ولا شريك له في الخلق ، فهو وحده الذي يستحق ان يعبد ، فلا إلّه إلاّ هو .

وللفكر الإيماني أدلة كثيرة على قضيته ، وهي أدلة لا تكاد تحصر تفصيلاتها ، ويمكن إجمالها ببراهين عقلية لا تقبل النقض ، تعتمد جذورها على بدهيات عقلية .

فموقف الإسلام في وجه الإلحاد هو موقف من يعرض براهينه وأدلته العقلية والعلمية بقوة ، ويستطيع أن يجادل بها ، ويقنع ويسكت كل منصف طالب معرفة الحق غير مغالط ولا مراوغ ولا كذاب .

أما موقف الملاحدة فهو موقف المنكر الجاحد بلا دليل ، موقف الذي يضع الحجب على عينيه ثم يقول : لا أرى . ويرفض أن يزيل الحجب عن عينيه ليرى . ويقول : هذه صعوبة لا ضرورة لها .

وأئمة الإلحاد أمام قطعانهم من الدهماء يرغون ويزبدون ، ويتسترون بالعلمية ، وبأسماء كبار العلماء ، ويصطنعون الحجج القائمة على المغالطات والأكاذيب والإفتراءات والشتائم ، وأشنع كل ذلك الإفتراءات العلمية . إنهم يصنعون أكاذيب في ميادين المعرفة العلمية ، ويلبسونها أثواب العلم ، والمنهجية العلمية ، ودعاوى منجزات الحضارة ،

الى غير ذلك ، ثم يقدمونها ضمن مسائل العلوم مندسة ، ليقرأها المتعلمون على أنها من حقائق المعرفة الراهنة .

الملاحدة يستمسكون بالنظرة المادية الى الكون والى الوجود كله . ويتلخص الفكر المادي الملحد بمزاعم حاول الملاحدة أن يقرروها ، ويصطنعوا لها فلسفات ، ويؤيدوها بالسفسطات والمغالطات ، والتوهمات ، والتشكيكات بآراء المخالفين .

١ ـ تزعم المادية الملحدة أن الوجود كله منحصر في الكون المادي الخاضع للإدراك الحسي ، ولو عن طريق الوسائل المكبرة للدقائق الصغيرة . أو عن طريق ما يتوصل اليه الاستنتاج الفكري من أصل للمادة ، أو قوانين لها أحياناً ، فيقولون ، المادة طاقة تشكلت بنظام معين فصارت مادة .

٢ ـ وتزعم المادية أن المادة الأولى للكون عديمة الحياة ، عديمة الاحساس عديمة الادراك ، عديمة الفكر ، وأنها بالتطور الذاتي ارتقت صفاتها حتى وصل الكون الى ما هو عليه الآن .

٣ ـ وتزعم المادية أن المادة الأولى للكون أزلية . فهي إذن أبدية . وحين تدمغهم أدلة حدوث الكون يقولون : لا نعرف كيف وجد الكون ، كما لا يعرف المؤمنون بالله كيف وجد الله الخالق ، ويقيسون هنا قياساً فاسداً ساقطاً ، إذ يقيسون الأزلي الذي لا بد من وجوده ، ووجوده هو الأصل ، على الحادث المسبوق بالعدم ، والذي لا يمكن وجوده إلا إذا أوجده الأزلي الأبدي الخالق .

وبناء على هذا يقول الماديون : لا توجد علة للكون ، والطبيعة بنظامها خرجت من جوف العماء الصرف ، ويلتزمون بهذا قبول المستحيل العقلي البدهي الاستحالة .

٤ ـ وتزعم المادية الملحدة أن الحياة ظهرت في الكون المادي نتيجة الصدفة ، دون خطة علمية سابقة ، وأن الحياة ثمرة تفاعلات المادة الناتجة عن حركتها الذاتية المستمرة ، فهي أثر تركيب خاص معقد للمادة .

٥ ـ وتزعم المادية الملحدة أنّ الإحساس في الحياة إلى درجة وعي

الذات ، ووعي ما يجري حولها من الكون ، حتى مستوى الفكر العالمي في الإنسان ، إنما كان نتيجة تطور المادة تطوراً ذاتياً ارتقائياً .

وبناء على ذلك تزعم المادية الملحدة أنّ الأفكار إنما هي انعكاس حركة المادة على الدماغ، وأنّ المعرفة صورة يصطنعها الدماغ بإحداث الروابط بين الصور التي تنعكس عليه من المادة .

٦ ـ وتزعم المادية الملحدة أنه لا وجود لشيء اسمه الروح ، على اعتبار أن هذه الروح في طبيعتها للمادة ، بل المادة حينما تكون في تركيب معين تكون الحياة من معطياتها ، وكلما ارتقى هذا التركيب ارتقت معطيات الحياة من المشاعر النفسية والأفكار .

٧ ـ وتزعم المادية الملحدة أنّ الإنسان هو الذي اخترع بتخيله فكرة الإلّه الخالق المهيمن العليم الحكيم العدل المعين عند الملمات ، المجازي على الحسنة وعلى السيئة . ومع أن الواقع لا يعترف بوجود هذا الإلّه الخالق .

٨ ـ وتزعم المادية أنه لا توجد علة للكون ، وأن الطبيعة بنظامها البديع خرجت من جوف العماء الصرف .

فإذا سألت الماديين : كيف ينتج العماء الصرف نظاماً بديعاً ؟ وكيف يظهر القصد الحكيم من غير ذي إرادة وعلم وحكمة ؟ وكيف تتفجر الحياة من غير ذي حياة ؟

لم يحيروا جواباً ، وقالوا : هو النشوء والارتقاء .

هذه خلاصة أصول مزاعم المادية الملحدة ، وتتفرع عن هذه المزاعم الأصول مزاعم فرعية كثيرة تتساقط من تلقاء نفسها متى تساقطت هذه المزاعم .

ويحاول الماديون الملاحدة أن يقنعوا أنفسهم ومن يستجيب لهم بأن اكتشاف العلماء لحلقات الاتصال بين ظاهرات الطبيعة كاف لحل كل تساؤ ل حول مصدر المادة وحول سر نظام عملها ، وإتقان صنعها . ويزعم الماديون أنّ هذا يغنيهم عن إثبات حاجة المادة الى قوة غيبية عليمة حكيمة مختارة .

لقد تعلّق الماديون الملاحدة بذيول المادة ، واندفعوا وراء الوهم الخادع الذي

سيطر على مشاعرهم وأفكارهم ، وعلقوا نفوسهم بسرابها ، وكظموا ظمأ افكارهم التي لم يروها سراب المادة ، وتظاهروا كذباً وزوراً بأن أسئلتهم قد انتهت عند حدود معرفة الروابط بين الظاهرات السببية التي هي في حقيقتها وسائل ، وليست أسباباً حقيقية .

إن الروابط بين الظاهرات عاجزة عن تفسير الكون . والقوانين أنفسها تحتاج الى تفسير ما دامت لا تنتهي الى الإرادة العليمة الحكيمة القادرة .

لقد اتجهوا هذا الاتجاه الناقص الباطل عقلياً وعلمياً ليفرّوا من الاعتراف بالحقيقة الكبرى ، وهي وجود الله ، حتى لا يلتزموا تبعات هذا الاعتراف .

حجج الماديين وجدلياتهم للإيهام بصحة مزاعمهم :

١ ـ لا يقدم الماديون لأي دعوى من المزاعم التي زعموها أي دليل عقلي أو علمي . انها مزاعم يستدلون عليها بمزاعم أخرى لا دليل عليها .

وكل ما يقدمه الماديون الملاحدة لإثبات أفكارهم الإلحادية لا يخرج عن ادعاءات لا دليل عليها ، لا من البديهة ، ولا من النظر العقلي ، ولا من وسائل العلوم .

إنها قضايا تقريرية ، يحكمون بها من عند أنفسهم ، دون أن يشهد لهم دليل صحيح بشيء منها ، وظواهر الكون ، وقوانين الطبيعة التي توصلت اليها العلوم التجريبية لا تسمح لهم مطلقاً بأن يفسروا الكون بأي زعم من المزاعم التي قدموها في تقريراتهم .

ومع ذلك يزعمون لأنفسهم العلمية ، ويحتكرونها لمناهجهم على سبيل الإدعاء الكاذب ، ويدعون أنهم يتقيدون بالإثباتات العلمية القائمة على التجربة والملاحظة .

٢ ـ أما سبيل الماديين لتأييد أفكارهم وادحاض أفكار مخالفيهم ـ على طول خط مناظراتهم المتعرج او عرض أفكارهم ـ يتلخص بالأكاذيب وصناعة المغالطات وترديد الدعاوى ، والثرثرة بالأقوال المزخرفة ، وإدعاء العلمية ، ومواجهة المخالفين بالنقد اللاذع والهزء والسخرية حتى مستوى الشتائم والاتهام بالرجعية

والجمود والتخلف العلمي والعقلي ، ونحو هذه المسالك القذرة .

٣ ـ إنّ الفلسفة الجادة ، والعقول العلميـة عند كـل المنصفين ، تدين الماديين بالسطحية ، والتخلف العلمي ، والمكـابـرة ، والتعصب ، والتقليـد الأعمى ، واتباع الهوى ، والرغبة بإطلاق البهيمية المفترسة المدمرة في الانسان .

نـظرة عامـة الى براهين الفكـر الايماني :

للفكر الايماني أدلة كثيرة على قضيتـه ، وهي أدلة لا تكـاد تحصر تفصيلاتها ، ويمكن اجمالها ببراهين عقلية لا تقبل النقض ، تعتمد جذورها على بدهيات عقلية :

البرهان الأول : أثبت العلم وأثبتت المـلاحـظة ، أن الكـون وحـوادثـه المستمرة ، أمور لم تكن ثم كانت ، وكل شيء لم يكن شيئاً مذكوراً ثم كان لا بد له حتماً من موجد أوجده ، ولا بدّ أن يتصف هذا الموجد بالصفات التي تؤهله لعمليات الإيجاد .

البرهان الثاني : أثبت العلم وأثبتت الملاحظة المستمرة أن كل ما في هذا الكون أمر متقن ، وإتقانه ليس من ذاته حتماً ، اذن فلا بد له من متقن أتقنه .

ومئات الألوف من الظواهر الكونية التي تعرض نفسها للبحث ، متى ينكشف للباحثين جوانب مدهشة من اتقانها ، الأمر الذي يدل على أن متقناً محجوباً عن الأنظار يتقن الأشياء بعلمه وحكمته وقدرته .

وفي هـذا المجال يكتب العلمـاء المنصفون مئات الألوف من المقالات المستفيضة المثبتة لهذه الحقيقة .

البرهان الثالث : برهان العقل يثبت أنه لا يوجد شيء في هذا الكون هو واجب الوجود لذاته ، بل كل ما فيه هو من الأمور الممكنة التي لا يرى العقل مانعاً من أن تكون على صورة أخرى غير الصورة التي هو عليها .

وكل أمر ممكن عقلاً لم يوجد في الواقع إلا بمرجح رجح وجوده ضد الإمكانات الأخرى . ولا بد أن يكون هذا المرجح لأوائل الممكنات موجوداً أو واجب الوجود لذاته ، وهذا لا يكون من

الكون ، لأنّ الكون كل ما فيه أمور ممكنة غير واجبة الوجود عقلاً .

البرهان الرابع : الإنسان أكمل حادث موجود في هذا الكون بحسب ما نلاحظ ـ ونشاهد من موجودات .

والإنسان لم يخلق نفسه حتماً ، ولم يخلقه أبواه ، وأي شيء دونه لا يستطيع أن يخلقه ، لأنه فاقد لكمالاته ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

إذن فلا بد من وجود من هو أكمل من الإنسان ، يملك أن يخلق في الانسان صفات العلم والإرادة الحرة ، وسائر الصفات النفسية بعد منحه صفة الحياة .

بل لا بد أن يكون هذا الخالق ذروة الكمال كله .

البرهان الخامس : من الملاحظ في أحداث تاريخ الإنسان أنّ مظاهر الجزاء العادل للأمم من السنن الثابتة في الكون . والجزاء العادل لا يكون من مادة صماء عمياء لا تعلم من أحداث الناس ونياتهم شيئاً .

إذن فلا بد من موجود عظيم عليم يرقب أعمال الناس ، ويعلم نياتهم ومقاصدهم ، ويجازيهم بعدله . وهذه الصفات لا بد أن تكون صفات موجود ليس جزءاً من هذا الكون المدروس ، ولا مشبهاً له ، لأن شيئاً منه لا يصلح لمثل هذه الصفات .

وشواهد مظاهر الجزاء العادل ليس له سبب إنساني ظاهرة كثيرة في تاريخ الناس .

البرهان السادس : الروح سر غير مادي من أسرار هذا الكون ، وهذه الروح متى وجدت في المادة صارت المادة حية .

ولا يوجد واحد في الأحياء يعرف روح نفسه ، أو يملك نفخها في المادة أو تثبيتها إذا جاء أجل مفارقتها لجسدها .

إذن فلا بد من موجود أعلى من المادة ، ومن عالم الأرواح التي لا تملك لأنفسها شيئاً ، وهذا الموجود الأعلى هو الذي ينفخها في المادة فتكون حية ، ويقبضها من المادة فتعود المادة ميتة لا حياة فيها .

﴿وهو القاهر فوق عباده﴾

البرهان السابع : لا بد أن يكون الوجود

هو الأصل ، وإلّا لم يوجد شيء البتة ، لأن العدم المطلق الشامل لا يمكن أن يتحول بنفسه الى الوجود ، ولا يملك أن يوجد شيئاً غيره .

وبما أن الوجود هو الأصل فيجب أن يكون للموجود الذي هو الأصل الكمال المطلق ، ويجب أن يكون كل وصف فيه واجب الوجود .

لكننا في كون ليس لعناصره صفات الكمال المطلق ، إذن فالموجود ذو الكمال المطلق غير هذا الكون ، وهو الذي خلق هذا الكون ، وأودع فيه من الأدلة والشواهد ما يدل عليه ، ومنح الفكر للإنسان ليمتحنه في قضية الإيمان بخالقه .

هذه البراهين الأصول يمكن أن تكتب حولها تفصيلات وبحوث مستفيضة تملأ مجلدات .

فموقف الفكر الإيماني موقف من يعرض براهينه وأدلته العقلية والعلمية بقوة ، ويستطيع أن يجادل بها ، ويقنع ويسكت كل منصف طالب معرفة الحق ، غير مغالط ولا مراوغ ولا كذاب . بخلاف موقف الفكر الإلحادي في كل ذلك .

الأستاذ

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

■■